

جَوابُ حَوْلَ

حَقِيقَةِ شِرْكِ الوَسَائِطِ

كتبه:

عُبَيْدُ رَبِّهِ الكَثِيرِيّ

-هداه اللهُ-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين أما بعد ؛ فإن مما فارق به دين المسلمين دين المشركين مسألة «**اتخاذ الوسائط والشفعاء**».

وهذه المسألة ظاهرة مكثورة في النصوص الشرعية بالتفصيل والإحكام لا اشتباه معه لأنها هي أصل المفاصلة والبراءة بين التوحيد والشرك.

وقد كثر في العصور المتأخرة شرك الوسائط وصار له أئمة يدعون إليه ويؤصلون لجوازه بالمتشابهات والإستدلالات الواهيات حتىٰ وقع في شراكهم جماعة من أدعياء السلفية فتأثروا ببعض ما أصلوه في هذا النوع من الشرك لا سيما في «**مسألة طلب الدعاء من الميت عند قبره**» حيث ظنوها مغايرة لشرك الوسائط والشفعاء وبعضهم طرد أصله فجعل هذا النوع من الشرك بعينه بدعة مفسقة أو غير جائز.

بل زاد بعض الكودنية من غلاة الإرجاء التفصيل في السجود لغير الله تعالىٰ باعتبار نية الساجد القلبية.

ولهم سفود خاص بإذن الله عما قريب والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالىٰ.

فالمقصود هو بيان هذا النوع من الشرك وأن مسألة "**طلب الدعاء من الميت**" ما هي إلا صورة مطابقة تماما لهذا الشرك الصراح.

أولا: مفهوم الوسائط

وهي جمع واسطة مؤنث واسط وأصلها في لغة العرب كما **جاء في «المحيط في اللغة» (٢/ ٢٦٩):** «الوَسْطُ - مُخَففٌ -: مَوْضِعٌ للشَّيْءِ. والوَسَطُ من الشيْءِ: أعْدَلُه وأفْضَلُه. **وهو - أيضاً -: اسْمٌ لكُلِّ ما لَهُ طَرَفَانِ**».

وفي «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية» (٣/ ١١٦٧): «والتَوسُّط بين الناس، من الوساطة».

قلت: فالواسط والواسطة هو في المعنىٰ من الشفاعة لأن في الشفاعة توسطا للغير فهي تكون بين طرفين كالواسطة.

فإذا قلنا شرك الواسطة أي شرك بالواسطة فالشرك واقع بها أي بنفس الواسطة فهي المشرك بها.

ووجه الشرك بها أن الله تعالىٰ سمىٰ من يتخذ في التعبد له والمسألة والطلب وسيطا وشفيعا يطلب المتوسط والمتشفع به أن يسأل الله له قضاء حاجته مشركا تاركا للإخلاص والذي حقيقته عبادة الله وسؤاله وحده لا شريك له أي لا مشارك له فيما يستحق من المسألة والطلب.

قال الله تعالىٰ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤﴾ [سورة الزمر:٤٣-٤٤].

قال عَبْدُ الرَّزَّاقِ في تفسيره: نا مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ﴾ [سورة الزمر: ٤٣] قَالَ: «هِيَ مِنَ الْآلِهَةِ ، **اتَّخَذْنَاهَا لِتَشْفَعَ لَنَا**».

قلت: فمن مقاصد أهل الشرك في اتخاذ هذه الحجارة والأوثان أن تشفع لهم عند الله أي تسأل الله لهم قضاء حوائجهم.

جاء في «تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين» (٤/ ١١٤): «﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ﴾ أَي: **قد اتخذوهم؛ ليشفعوا لَهُم زَعَمُوا ذَلكَ لدنياهم ليصلحها لَهُم وَلَا يقرونَ بِالآخِرَة** ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّد: ﴿أَوَلَوْ كَانُواْ﴾ يَعْنِي: أوثانهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أَي: أَنهم لَا يملكُونَ شَيْئا وَلَا يعْقلُونَ».

فإن قيل إن المشركين عبدوا هذه الأصنام وقالوا تشفع لنا عند الله فهم صرفوا لها العبادة رجاء شفاعتها.

أما اليوم فهم لا يعبدونها وإنما يسألونها الشفاعة فحسب فما بالكم تسوون بينهما؟

قلت: وهذا الإشكال مهم جدا الجواب عنه في نشرة خاصة بإذن الله لضرورته لأنها فيه جوهر الخلاف وفيصل التفرقة بين تقريرات الموحدين وتقريرات المشركين.

لأن حقيقة دين المشركين وما كانوا عليه في الجاهلية قد وقع فيه لبس كثير سببه القبرية من الصوفية والرافضة حتىٰ انطلىٰ علىٰ بعض أدعياء السلفية فصاروا يوافقونهم في كثير من تأصيل قضايا الشرك وصرف العبادة لغير الله والله المستعان.

لكن – علىٰ جهة الإختصار – أجيب فأقول دعوىٰ أن المشرك يعبد الأوثان رجاء شفاعتها قد دلت الدلائل علىٰ صحته منها:

قول الله تعالىٰ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ

﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [سورة يونس:١٨].

فجمع لهم سبحانه بين العبادة للأوثان رجاء شفاعتها.

قال الطبري في تفسيره: «**يعني: أنهم كانوا يعبدونها رجاء شفاعتها عند الله**».

فالمشرك يعبد الوثن بالذبح والنذر والطواف ونحوه يرجو بذلك شفاعتها عند الله وتقربه من الله تعالىٰ.

كما قال الله تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣].

قال مقاتل في تفسيره: «وذلك أن كفار العرب **عبدوا الملائكة وقالوا ما نعبدهم** ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ **يعني منزلة فيشفعوا لنا إلىٰ الله**».

لكن الذي غفل عنه القبريون ومن يجادل عن الشرك أن من جنس العبادات التي صرفها المشركون للأوثان دعاء المسألة الذي لا ينبغي إلا لله وحده.

ودعاء المسألة من أنواع الدعاء التعبدي لله سبحانه.

جاء في «التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه» (ص٣٢٧):

«**الدعاء يعني السؤال:**

وذلك قوله في سورة البقرة في قول بني إِسرائيل لموسىٰ: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [سورة البقرة:٦٨] أي سل لنا ربك. وقال في حم الزّخرف: ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [سورة الزخرف:٤٩]. أي سَلْ لنا ربك، ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ٤٩﴾ [سورة الزخرف:٤٩] . وقال في حم المؤمن: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [سورة غافر:٦٠] يعني سلوني أعطكم.

وقال فيها أيضا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ [سورة غافر:٤٩] يعني سلو ربّكم، ﴿يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة غافر:٤٩] ويعني بقوله: سلوا ربُّكم أي اطلبوا إليه. ونحوه كثير». انتهىٰ

قلت: فكان أهل الشرك يسألون أوثانهم وطواغيتهم في أحوال علىٰ جهة الوساطة والتسبب في قضاء حاجتهم فيطلبون منها أن تسأل الله لهم قضاء حاجة لا يقدر عليها إلا الله وحده كإنزال المطر ونحوه.

فهنا صورتان لابد من التركيز معهما في شرك الأولين:

١- كانوا يطلبون من الأوثان أنفسهم أن تفعل لهم الحاجة وهذا وقع في الاستعاذة كما في آيات سورة الجن ووقع منهم في الاستنصار والمنعة ونحو ذلك وهذا النوع موجود وشواهده ظاهرة.

ويماثله في مشركي زماننا من يطلب من المقبور أن يرزقه الذرية أو يقول له [اشفني من مرضي] ونحوه فهذا شرك أكبر في الربوبية وشرك في العبادة.

بل من سأل أحدا أي أحد فعلا من أفعال الربوبية التي لا تنبغي إلا لله وحده فهو مشرك سواء كان ذلك المخلوق حيا أو ميتا حاضرا أو غائبا.

٢- ومما يدخل في الشرك أيضا أن أهل الجاهلية كانوا يسألون أوثانهم لتسأل الله لهم فيطلبون منهم علىٰ جهة السبب والتوسط لا علىٰ جهة الإستقلال والتفرد بالفعل كما في الصورة الأولىٰ.

فهنا الواسطة نفسها عاجزة عجزا مسبقا عن الاستجابة لسائلها علىٰ جهة السبب والواسطة.

قال الله تعالىٰ ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ۝٤٢ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٤٣﴾ [سورة غافر:٤٢-٤٣].

جاء في «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٢٠٨): قال السدي: «**يعني لا تستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة فكأن معنىٰ الكلام: ليست له استجابة دعوة.**

وقال قتادة: «**ليست له دعوة مستجابة**».

قال مقاتل في تفسيره: « فقال: ﴿لَا جَرَمَ﴾ يعني حقا ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ من عبادة الآلهة ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ **مستجابة إضمار تنفعكم يقول ليس بشيء** ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾».

وقال الطبري في تفسيره: «يقول: حقا أن الذي تدعونني إليه من الأوثان، **ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه جماد لا ينطق، ولا يفهم شيئا**».

وجاء في «تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين» (٤/ ١٣٥): «﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [سورة غافر:٤٣] **أَي: لَا يُجيب من دَعَاهُ فِي الدُّنْيَا** ، وَلَا يَنْفَعهُ فِي الْآخِرَة».

فانظر - يرعاك الله - التنصيص المحكم الذي أبطل الله تعالىٰ به اعتقاد أهل الشرك بأن لشفعائهم دعوة أي دعاء عند الله مستجاب ينفعهم فأبطل ظنهم ذلك وأوضح أنه ليس لها دعوة مستجابة بنفسها لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ولا شك ولا ريب أن من وسائط أهل الجاهلية التي ظنوا أن لها دعاء مستجابا عند الله الموتىٰ.

وعليه يقال أن الشخص الذي يأتي ميتا ليدعو له هو يظن في نفسه أن الميت يستجيب له طلبه.

ويظن أيضا أن الميت له دعوة مستجابة عند الله لصلاحه وقربه من الله فضلا ومكانة فمن أجل هذه الظنون نصبها واسطة له ووسيلة عند الله تعالىٰ.

فأبطل الله تعالىٰ هذا الظنون كلها وبين أنه لا يدعو ميت لحي حتىٰ يأذن الله تعالىٰ للميت.

وأن الميت لا فعل له ولا قدرة له علىٰ الاستجابة وليس له دعاء يستجيب فيه لغيره من نفسه في الدنيا أو الآخرة لعجزه وعدم قدرته.

فالمقصود أن من لم يحكم مسائل التوحيد يحسب أن شرك أهل الجاهلية مقصور علىٰ الصورة الأولىٰ أنهم يطلبون منهم الفعل استقلالا ويسألونهم ما اختص الرب سبحانه به وحده فحسب.

ويغفل عن الصورة الثانية وهي أنهم طلبوا منهم تسببا وتشفعا عند الله تعالىٰ أن يجيبوهم لما سألوا.

وهذه الواسطة التي اتخذها أهل الشرك لها صفات مختصة بها.

فليس المراد كل واسطة ولكن واسطة بعينها ورد في القرآن صفاتها وهي فيما يلي.



ثانيا: صفات الواسطة الشركية

١- أنها من الأموات وليست من الأحياء والميت لا فعل ولا قدرة له باتفاق السلف كما تقدم في الجواب السابق.

قال الله تعالىٰ ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٢١ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ﴾ [سورة النحل:٢٠-٢٢].

جاء في «تفسير الطبري» (١٧/ ١٨٨): «والذين تدعون من دون الله أيها الناس ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ﴾ وجعلها جلّ ثناؤه أمواتا غير أحياء، إذ كانت لا أرواح فيها.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ وهي هذه الأوثان التي تُعبد من دون الله أموات لا أرواح فيها، ولا تملك لأهلها ضرّا ولا نفعا».

وجاء في «نقض الدارمي علىٰ المريسي» (ص١٢٦): «فَإِنَّ أَمَارَةَ مَا بَيْنَ الحَيِّ، وَالمَيِّتِ التَّحَرُّكُ، وَمَا لَا يَتَحَرَّكُ فَهُوَ مَيِّتٌ، لَا يُوصَفُ بِحَيَاةٍ، كَمَا وَصَفَ الله تَعَالَىٰ الأَصْنَامَ المَيِّتَةَ فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٢١﴾ [سورة النحل:٢٠-٢١]، فَاللهُ الحَيُّ القَيُّومُ القَابِضُ البَاسِطُ، يَتَحَرَّكُ إِذَا شَاءَ وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ، **بِخِلَافِ الأَصْنَامِ المَيِّتَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ حَتَّىٰ تُزَالَ**».

قال الله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١١٦ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ۝١١٧ لَّعَنَهُ ٱللَّهُۘ﴾ [سورة النساء:١١٦-١١٨].

قال الطبري في تفسيره: حدثني المثنىٰ قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾، يقول: مَيْتًا.

حدثنا بشر بن معاذ قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾، أي: إلا ميتًا لا رُوح فيه.

حدثني المثنىٰ قال، حدثنا الحجاج قال، حدثنا مبارك بن فضالة، عن الحسن: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾، قال: و"الإناث" كل شيء ميت ليس فيه روح.

قال ابن أبي حاتم في تفسيره: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا مِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ، أَنْبَأَ بِشْرُ بْنُ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي رَوْقٍ، عَنِ الضَّحَّاكِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ قَالَ: مَوْتَىٰ.

ثَنَا أَبِي، ثنا أَبُو سَلَمَةَ، ثنا مُبَارَكٌ، عَنِ الْحَسَنِ: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ قَالَ الْحَسَنُ: الإِنَاثُ: كُلُّ شَيْءٍ مَيِّتٌ لَيْسَ لَهُ رُوحٌ إِمَّا خَشَبَةٌ يَابِسَةٌ وَإِمَّا حَجَرٌ يَابِسٌ

جاء في «تفسير مقاتل بن سليمان» (١/ ٤٠٧): «﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ يعنىٰ أوثانا يعنىٰ أمواتا: اللات والعزىٰ **وهي الأوثان لا تحرك وَلا تضر وَلا تنفع فهي ميتة** ﴿وَإِن يَدْعُونَ﴾ يعني وما يعبدون من دونه ﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا﴾ يعني إبليس».

فنقول للذي يسأل ميتا الدعاء عند قبره هل هذا الشخص الذي تسأله ميت أم حي؟

فالجواب هو ميت.

فيقال **الميت لا فعل له ولا قدرة له علىٰ النفع والضر** والذي يسأل من لا قدرة له

علىٰ النفع والضر فقد أشرك بالله وكفر

٢- أنها لا تستجيب بشيء من نفسها لمن سألها وطلب منها.

قال الله تعالىٰ ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ [سورة الرعد:١٤].

قال الطبري في تفسيره: حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج. عن ابن جريج، عن مجاهد يدعوه لأن يأتيه وما هو بآتيه، فكذلك لا يستجيب مَنْ دونه.

وقال حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ﴾ وليس ببالغه حتىٰ يتمزَّع عنقه ويهلك عطشًا قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ هذا مثل ضربه الله ; **أي هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثنَ وهذا الحجر لا يستجيب له بشيء أبدًا ولا يسُوق إليه خيرًا ولا يدفع عنه سوءًا حتىٰ يأتيه الموت،** كمثل هذا الذي بسط ذارعيه إلىٰ الماء ليبلغ فاه ولا يبلغ فاه ولا يصل إليه ذلك حتىٰ يموت عطشًا. انتهىٰ

قلت: انظر قول قتادة: «وهذا الحجر لا يستجيب له بشيء أبدًا ولا يسُوق إليه خيرًا ولا يدفع عنه سوءًا حتىٰ يأتيه الموت».

فوصف هذا الذي يدعى بأنه:

١- لا يستجيب بشيء أبدا.

قلت: ولو كان طلب دعاء لأن المسؤول ميت والميت لا قدرة له علىٰ الفعل لا استقلالا ولا تسببا والاستجابة نوع من أنواع الفعل فهي منتفية تماما عن الميت.

فالموتىٰ لا يستجيبون لأنهم لا قدرة لهم سابقة أصلا فهم بلا حركة.

روىٰ البخاري في الصحيح: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ صَالِحٍ، حَدَّثَنِي نَافِعٌ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَهْلِ القَلِيبِ، فَقَالَ: «وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟»

فَقِيلَ لَهُ: تَدْعُو أَمْوَاتًا؟

فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ، **وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ**».

٢-لا يسوق إليه خيرا.

قلت: طلب الدعاء منه نوع من أنواع الخير فلا يسوقه بنفسه لأنه ميت والميت لا فعل له.

٣- ولا يدفع عنه سوءًا.

قلت: لا يدفعه عنه السوء استقلالا أو تسببا، لأن الميت لا فعل له من نفسه لا علىٰ جهة الإستقلال أو علىٰ جهة الأسباب لأن الميت لا قدرة له سابقة علىٰ الفعل من نفسه كما تقدم في الجواب السابق.

وقال الله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥﴾ [سورة الأعراف:١٩٤-١٩٥].

فوصف هذا الذي يدعى بصفات:

١-عباد أمثالكم.

قلت: والموتىٰ عباد أمثالنا كانوا أحياء لهم قدرة سابقة علىٰ الفعل فلما ماتوا فلا فعل لهم لانقطاع عملهم.

روىٰ مسلم في الصحيح: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَتَمَنَّىٰ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، **إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ،** وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا».

روىٰ الترمذي في الجامع: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ العَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ** إِلاّ مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ.

هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فالميت لا عمل له قد انقطع عمله.

٢- لا يستجيبون لمن دعاهم.

٣- ليس لهم أرجل يمشون بها في قضاء الحوائج لا علىٰ جهة الإستقلال ولا الأسباب.

قلت: وطلب الدعاء من الميت هو طلب لحاجة يريد الحي أن يتسبب الميت في قضائها له من الله تعالىٰ.

٤- ليس لهم أيدي يبطشون بها ليدفعوا عنكم أو يجلبوا لكم خيرا.

والميت لا يدفع عن الحي سوءا ولا يجلب له خيرا لا استقلالا ولا أسبابا لأنه لا قدرة له سابقة علىٰ الفعل والحركة.

٥- ليس لهم أعين يبصرون بها فيبصر من نفسه علوم الغيب.

فالميت بنفسه لا يعلم الغيب ولا يراه إلا أن يعلمه الله تعالىٰ ويطلعه.

قال أحمد في مسنده: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، وَابْنُ جَعْفَرٍ الْمَعْنَىٰ، قَالا: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ: " إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَىٰ اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ [سورة الأنبياء:١٠٤] فَأَوَّلُ الْخَلَائِقِ يُكْسَىٰ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ "، قَالَ: " ثُمَّ يُؤْخَذُ بِقَوْمٍ مِنْكُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ - قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ - فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، قَالَ: فَيُقَالُ لِي: **إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**، لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مُذْ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ": ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ [سورة المائدة:١١٧] الْآيَةَ إِلَىٰ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [سورة البقرة:١٢٩].

قلت: فهذا النبي صلىٰ الله عليه وسلم لا يدري ما حدث بعده من الغيبيات إلا أن يعلمه الله تعالىٰ.

فالميت لا يرىٰ بنفسه فلا قدرة له سابقة علىٰ البصر إلا أن يعلمه الله تعالىٰ ويبصره.

روىٰ مسلم في الصحيح: حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَارِيُّ، عَنْ خَالِدٍ الْحَذَّاءِ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ**».

وفي المسند: من طريق حُمَيْدٌ الْأَعْرَجُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا حَضَرْتُمْ مَوْتَاكُمْ، فَأَغْمِضُوا الْبَصَرَ، **فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتْبَعُ الرُّوحَ**. انتهىٰ

ثم يقال الميت لا قدرة له علىٰ البصر بنفسه حتىٰ يبصره الله تعالىٰ في مواطن غيبية ليست للقياس بل هي التسليم والإنقياد.

منها ما رواه أَبُو بَكْرِ بن أبي الدنيا في كتاب المنامات: ثني مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ الْآدَمِيُّ، نا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ صَفْوَانَ، نا حُمَيْدٌ الْأَعْرَجُ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ : «إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ فَمَلَكٌ قَابِضٌ نَفْسَهُ ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ يَرَاهُ عِنْدَ غُسْلِهِ ، وَعِنْدَ حَمْلِهِ ، حَتَّىٰ يَصِيرَ إِلَىٰ قَبْرِهِ».

ثني مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، نا شَبَابَةُ بْنُ سَوَّارٍ، نا مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ، قَالَ: سَمِعْتُ بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيَّ، يَقُولُ : بَلَغَنِي أَنَّهُ «مَا مِنْ مَيِّتٍ إِلَّا وَرُوحُهُ بِيَدِ مَلَكِ الْمَوْتِ ، فَهُمْ يُغَسِّلُونَهُ وَيُكَفِّنُونَهُ ، وَهُوَ يَرَىٰ مَا يَصْنَعُ أَهْلُهُ ، فَلَوْ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَىٰ الْكَلَامِ لَنَهَاهُمْ عَنِ الرَّنَّةِ، وَالْعَوِيلِ».

ثني مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ الْعِجْلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَىٰ الْحِمَّانِيَّ، قَالَ: دَخَلَ حَمَّادُ بْنُ مُغِيثٍ عَلَىٰ ابْنِ السَّمَّاكِ يَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ فَقَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ، يَقُولُ: «إِنَّهُ لَيَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ يَعْنِي الْمَيِّتَ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيُنَاشِدُ غَاسِلَهُ بِاللهِ أَلَا خَفَّفْتَ غَسْلِي».

ومن طريق نا عُثْمَانُ بْنُ زُفَرَ، ثني ابْنُ السَّمَّاكِ، أَوْ ثني عَنْهُ غَيْرُهُ قَالَ : " غَسَّلَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ أَبِي، فَلَمَّا غَسَّلَهُ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ الْآنَ يَرَىٰ مَا نَصْنَعُ بِهِ».

ثني أَبُو إِسْحَاقَ، وَمَاتَ ابْنٌ لَهُ، وَكَانَ نَاسِكًا قَالَ: أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا قَالَ:

" رَأَيْتُهُ فِي النَّوْمِ فَقَالَ لِي: أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ مَا ظَهَرَ مِنْ جَمِيلِ السَّتْرِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْجِنَازَةِ قَالَ: قُلْتُ: وَقَدْ عَلِمْتُ ذَلِكَ قَالَ: مَا غَابَ عَنِّي مِنْهُ شَيْءٌ ".

نا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، نا الْفَضْلُ بْنُ مُوَفَّقٍ، قَالَ: " كُنْتُ آتِي قَبْرَ أَبِي كَثِيرًا ، قَالَ: شَهِدْتُ جِنَازَةً فَلَمَّا قُبِرَ صَاحِبُهَا تَعَجَّلْتُ لِي حَاجَةً وَلَمْ آتِ قَبْرَ أَبِي فَأُرِيتُهُ فِي النَّوْمِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ لِمَ لَمْ تَأْتِنِي؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ بِي؟ قَالَ: إِي وَاللهِ يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَتَأْتِينِي فَمَا أَزَالُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ مِنْ حِينَ تَطْلُعُ مِنَ الْقَنْطَرَةِ حَتَّىٰ تَقْعُدَ إِلَيَّ وَتَقُومَ مِنْ عِنْدِي، فَمَا أَزَالُ أَنْظُرُ إِلَيْكَ مُوَلِّيًا حَتَّىٰ تَجُوزَ الْقَنْطَرَةَ ".

وَثني إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، وَثني ابْنُ أَبِي الْمُتَّئِدِ، قَالَ: قَالَتْ لِي تُمَاضُرُ بِنْتُ سَهْلٍ، امْرَأَةُ أَيُّوبَ بْنِ عُيَيْنَةَ: " جَاءَتْنِي ابْنَةُ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فَقَالَتْ: أَيْنَ عَمِّي أَيُّوبُ؟ قُلْتُ: فِي الْمَسْجِدِ ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ فَقَالَتْ: أَيْ عَمِّ إِنَّ أَبِي جَاءَنِي فِي النَّوْمِ فَقَالَ: جَزَىٰ اللهُ أَخِي أَيُّوبَ عَنِّي خَيْرًا فَإِنَّهُ يَزُورُنِي كَثِيرًا ، وَقَدْ كَانَ عِنْدِي الْيَوْمَ فَقَالَ أَيُّوبُ: نَعَمْ حَضَرْتُ جِنَازَةً فَذَهَبْتُ إِلَىٰ قَبْرِهِ ".

وروىٰ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا في كتاب القبور: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ حَدَّثَنِي بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ نا جُبَيْرٌ الْقَصَّابُ قَالَ: " كُنْتُ أَغْدُو إِلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ فِي كُلِّ غَدَاةِ سَبْتٍ حَتَّىٰ نَأْتِيَ الْجَبَّانَ فَنَقِفَ عَلَىٰ الْقُبُورِ فَنُسَلِّمَ وَنَدْعُوَ لَهُم ثُمَّ نَنْصَرِفُ فَقُلْتُ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَلَوْ صِرْتُ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ. فَقَالَ بَلَغَنِي أَنَّ الْمَوْتَىٰ يَعْلَمُونَ بِزُّوَارِهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمًا قَبْلَهُ وَيَوْمًا بَعْدَهُ ".

قلت: فعلم الموتىٰ بزوارهم وغاسلهم هو بإعلام الله لهم فليس لهم قدرة سابقة علىٰ البصر ولا العلم بما حولهم.

وقد روىٰ أبو نعيم في الحلية: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفِرْيَابِيُّ، ثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، ثنا دَاوُدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّارُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ: " مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا وَرُوحُهُ فِي يَدِ مَلَكٍ يَنْظُرُ إِلَىٰ جَسَدِهِ كَيْفَ يُغَسَّلُ وَكَيْفَ يُكَفَّنُ، وَكَيْفَ يُمْشَىٰ بِهِ فَيَجْلِسُ فِي قَبْرِهِ. قَالَ دَاوُدُ: وَزَادَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَالَ: **يُقَالُ لَهُ وَهُوَ عَلَىٰ سَرِيرِهِ: اسْمَعْ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْكَ** ".

٦- ليس لهم آذان يسمعون بها فلا يستطيعوا السماع إلا أن يسمعهم الله ذلك بأن يرد إليهم أرواحهم.

قال الله تعالىٰ ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾ [سورة فاطر:٢٢].

روىٰ الطبري في تفسيره: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع.

قال مقاتل في تفسيره: «شبه الكافر من الأحياء حين دعوا إلىٰ الإيمان فلم يسمعوا، **بالأموات أهل القبور الذين لا يسمعون الدعاء**».

قلت: وهذا تنصيص مهم أن الميت لا يسمع الدعاء بعينه لأنه لا دليل عليه بخلاف الدعاء له كالسلام وغيره فهو يسمعه إذا شاء الله أن يسمعه بأن يرد إليه روحه.

جاء في «تفسير يحيىٰ بن سلام» (٢/ ٧٨٥): «﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾ [سورة فاطر:٢٢]، أَيْ: وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعِ الْكُفَّارَ، **هُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَمْوَاتِ لا يَسْمَعُونَ مِنْكَ الْهُدَىٰ سَمْعَ قَبُولٍ، كَمَا أَنَّ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ لا يَسْمَعُونَ**».

وجاء في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ١٢٢٩): «سِيَاقُ مَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَنَّ الْمَوْتَىٰ فِي قُبُورِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ مِمَّا عَلَيْهِ الْأَحْيَاءُ إِلَّا إِذَا رَدَّ اللهُ عَلَيْهِمُ الْأَرْوَاحَ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ٢٢﴾ [سورة فاطر: ٢٢]».

فالميت لا يسلم إلا إذا رد الله له روحه فيسمعه السلام.

روىٰ أحمد في مسنده: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، حَدَّثَنِي أَبُو صَخْرٍ، أَنَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُسَيْطٍ أَخْبَرَهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " **مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، إِلَّا رَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ** ".

روىٰ ابن أبي شيبة في المصنف: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ زَاذَانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ **يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ**».

وهذا الذي يفهم وجه رد الميت السلام أنه بتبليغ الله له فيرد له روحه ليرد السلام.

روىٰ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي الدُّنْيَا في كتاب القبور: نا مُحَمَّدُ بْنُ قُدَامَةَ الْجَوْهَرِيُّ نا مَعْنُ بْنُ عِيسَىٰ الْقَزَّازُ أنا هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ نا زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: " إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرٍ يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَرَفَهُ وَإِذَا مَرَّ بِقَبْرٍ لَا يَعْرِفُهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ ".

نا الْحَسَنُ بْنُ الصَّبَّاحِ سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ جَرِيرٍ قَالَ: " **إِذَا دَعَا الْعَبْدُ لِأَخِيهِ الْمَيِّتَ أَتَىٰ بِهَا الْمَلِكُ قَبْرَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا صَاحِبَ الْقَبْرِ الْغَرِيبِ، هَدِيَّةٌ مِنْ أَخٍ عَلَيْكَ شَفِيقٌ** ".

قلت: والسلام علىٰ الميت هو من جنس الدعاء له فكل دعوة من الحي للميت

فلا يسمعها بنفسه لعدم قدرته واستطاعته الإجابة والاستجابة لأنه لا فعل له ولكن الله تعالىٰ يسمعه إذا شاء كما شاء.

ولذلك لما قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتُكَلِّمُ قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا؟ قَالَ: " **مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُوا** ".

فبين النبي صلىٰ الله عليه وسلم أن الإستطاعة وهي القدرة في حق الميت منتفية

٣- من صفات الواسطة الشركية أنها غائبة غافلة لا حضور لها، وليس لها شهود حقيقي أو حكمي.

قال الله تعالىٰ ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة يونس:٢٨-٢٩].

وروىٰ ابن أبي حاتم في تفسيره: حَدَّثَنَا أَبِي، ثنا عِيسَىٰ بْنُ جَعْفَرٍ، ثنا مُسْلِمُ بْنُ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ فَتَقُولُ لَهُمُ الآلِهَةُ: **وَاللهِ مَا كُنَّا نَسْمَعُ وَلا نُبْصِرُ وَلا نَعْقِلُ وَلا نَعْلَمُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَنَا.**

روىٰ الطبري في تفسيره: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ﴾، قال: فرّقنا بينهم = ﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ قالوا: بلىٰ، قد كنا نعبدكم فقالوا: ﴿فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾، **ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نتكلم!** فقال الله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ﴾ [سورة يونس:٣٠]، الآية.

قلت: والميت لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يعقل من نفسه إلا بأمر الله

ومشيئته لأن هذه المذكورات أفعال والميت لا قدرة له علىٰ الفعل ولا الحركة إلا بإذن الله، وكل هذا غيب لا نبحث عنه ولا نقايسه بحال الأحياء فانتبه.

قال مقاتل في تفسيره: «ثم أخبر عن الآلهة اللات والعزىٰ ومناة، فقال-: سبحانه ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [سورة فاطر:١٤]. دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجابُوا لَكُمْ **يقول لو أن الأصنام سمعوا ما استجابوا لكم** ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ يقول إن الأصنام يوم القيامة يتبرءون من عبادتكم إياها فتقول للكفار ما أمرناكم بعبادتنا، نظيرها في يونس ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ﴾».

قال الله تعالىٰ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦﴾ [سورة الأحقاف:٥-٦].

قال الطبري في تفسيره: «وقوله: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: **وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق، ولا تعقل. وإنما عنىٰ بوصفها بالغفلة، تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئًا، كما لا يفهم الغافل عن الشيء ما غفل عنه**».

قلت: والميت في غفلة عما يطلبه منه الحي بأن يدعو له في قبره لأنه لا يسمع ولا يعقل ولا ينطق ولا يفهم ولا فعل له مطلقا إلا بأمر الله إذا شاء وهذا غيب لا يعلمه إلا الله.

أما الحي فالذي يعلمه من حال الميت ما تقدم أنه لا قدرة له سابقة علىٰ الفعل.

لذلك أُمِرَ الحي بأن يدعو للميت بالمغفرة والرحمة وأن يشفع فيه.

فعكس القبريون أمر الله وبدلوه فصار الحي في دينهم هو يسأل الميت أن يدعو الله له بالمغفرة والرحمة ويشفع فيه وهذا حقيقة شرك الوساطة والشفاعة.

روىٰ أحمد في مسنده: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ عَاصِمٍ يَعْنِي الْأَحْوَلَ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَشْرَفْنَا عَلَىٰ وَادٍ، فَذَكَرَ مِنْ هَوْلِهِ فَجَعَلَ النَّاسُ يُكَبِّرُونَ وَيُهَلِّلُونَ.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ". وَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ. فَقَالَ: " **أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا. إِنَّهُ مَعَكُمْ** ".

قلت: فبين أن صفات من لا يستحق الدعاء والمسألة الأصم الذي لا سمع له والغائب الذي لا حضور ولا علم له.

والميت لا يسمع إلا بأمر ولا يستجيب بنفسه لسائله بشيء.

وكذلك الميت غائب غير حاضر عند سائله ولا يعلم بشيء حتىٰ يعلمه الله سبحانه.

وهذا كله غيب لا يعلمه إلا الله الواجب فيه التسليم لا المقايسة بالرأي.

فالمقصود أن من دعا من لا قدرة له بنفسه علىٰ السماع وهو غائب عنه حقيقة أي بنفسه وحكما فهو مشرك.

وأما من دعا من غاب عنه بذاته لكنه في حكم الحاضر لما بينهما من الأسباب الظاهرة كوصول الصوت لبعده أو ثمة من يبلغه إياه فليس بمشرك.

فإن قيل ولعل الميت ثمة من يبلغه صوت من يطلب منه الدعاء ؟

فالجواب: الميت يبلغ الدعاء له كالسلام ونحوه بإذن الله وقد يسمعه الله إياه عند قبره.

أما طلب الدعاء منه فلم يرد نص بأنه يسمعه ولا من يبلغه أبدا وإنما الوارد أن الله تعالىٰ إذا شاء أمره بالدعاء حين تعرض عليه أعمال الأحياء هذا **أولا**.

ثانيا: لا يصح بحال قياس أحكام الموت في مسألة الحضور وغيرها علىٰ أحكام الحياة.

وذلك أننا نجزم أن الميت فارق الدنيا فهو غائب عنها حقيقة وحكما وصار إلىٰ دار أخرىٰ بخلاف الحي الغائب الذي معك في نفس الدار وفارقك بجسده وأمكن في الأسباب القدرية الظاهرة بلوغ الصوت له فانتبه.

روىٰ أحمد في الفضائل: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ قال ثنا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ قال ثنا زُهَيْرٌ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا إِسْحَاقَ يُحَدِّثُ، عَنْ عَمْرٍو الْأَصَمِّ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الشِّيعَةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيًّا مَبْعُوثٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَالَ: كَذَبُوا وَاللهِ، مَا هَؤُلَاءِ بِالشِّيعَةِ، لَوْ عَلِمْنَا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ، مَا زَوَّجْنَا نِسَاءَهُ، وَلَا قَسَمْنَا مَالَهُ.

قلت: وهذا فقه عظيم وجواب قويم من الحسن بن علي رضي الله عنهما لأن من سيرجع للدنيا بعد غيبته لا يجوز قسم ميراثه ولا تزويج نسائه في الجملة.

أما من فارق دار الدنيا إلىٰ دار الآخرة فهذا غاب عن دنيانا وانقطع خبره وعمله وصار إلىٰ دار أخرىٰ فهوغائب غيابا حقيقيا وحكميا باعتبار أحكام الدنيا فانتبه.

فهنا صور خمسة مهمة جدا يقع الخلط بينها ومقايسة حال الميت علىٰ حال الحي

مطلقا في الطرح القبري ومن تأثر به:

١- حي طلب من حي حاضر الدعاء له فهذا جائز.

٢- حي طلب من حي غاب عنه بجسده ولكن يسمع صوته لقربه منه أو هناك أسباب ظاهرة قدرية يبلغه بها كلامه بأن يدعو له فهذا جائز لأن هذا الحي له حكم الحاضر.

٣- حي سلَّمَ علىٰ ميت فهذا دعاء له كالإستغفار ونحوه وهذا شفاعة حسنة جائزة.

قال الطبراني في الدعاء: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقِ بْنِ أَبِي إِسْرَائِيلَ، حَدَّثَنِي أَبِي، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ بْنِ كَيْسَانَ الصَّنْعَانِيُّ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سُلَيْمَانَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَىٰ صَنْعَاءَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ذِكْرُهُ ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [سورة النساء:٨٥] **قَالَ: «الدُّعَاءُ لِلْمَيِّتِ»**.

٤- حي جاء عند قبر ميت فسأل الله تعالىٰ وحده وقد يتوسل بذكر اسم الميت في دعائه هذا الفعل لم يرد فيه شيء ثابت عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ولا عن أصحابه رضي الله عنهم **فهو من جنس البدع المنكرة في العبادات ووسائل الشرك بالمقبور.**

٥- حي طلب من ميت أن يشفع له ويدعو له عند الله تعالىٰ هذا هو شرك الوسائط والشفاعة.

فمن عرف هذه الخمس سيفهم سياقات الأدلة والآثار الواردة في الباب فلا يستدل بشيء ورد في السلام علىٰ الميت وهو من جنس الدعاء له علىٰ صورة طلب الدعاء منه أو دعاء الله وحده عند قبره وهكذا من الخلط الذي يمارسه القبريون وأزواجهم من

الجراجسة الجدد.

وهذا مثال يجلي لك كيف يخلط القبريون وأزواجهم الصور السابقة بمقايسة بعضها علىٰ ما لا ينقاس.

رویٰ الخطيب في تاريخ بغداد: أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن رزق، قَالَ: أَخْبَرَنَا عثمان بْن أَحْمَد الدقاق، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن أَحْمَد بْن البراء، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن الْحُسَيْن، قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْر بْن عياش لَمَّا كبر يأخذ إفطاره ثُمَّ يغمسه بالماء فِي جر كَانَ لَهُ فِي بيت مُظلم، ثُمَّ يَقُولُ: يا ملائكتي، طالت صُحبتي لكما، **فإن كَانَ لكما عِنْدَ الله شفاعة، فاشفعا لي.**

قلت: هذا الخبر من جنس طلب الدعاء من الحي الحاضر وهذا لا بأس به فالكرام الكاتبين لا يفارقون العبد وهم معه في حكم الحاضر.

قال الله تعالىٰ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [سورة الانفطار: ١٠-١٢].

فهم حفظة كتبة عندهم علم بك يسمعونك ويرونك.

والإمام أبو بكر بن عياش رحمه الله سأل الشفاعة مقيدة وهي بمعنىٰ طلب الدعاء من الحي الحاضر.

وقد روىٰ أبو نعيم في الحلية: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثنا عُمَرُ بْنُ بَحْرٍ الْأَسَدِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْجُنَيْدِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ بِشْرَ بْنَ الْحَارِثِ، يَقُولُ: **سَمِعْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَيَّاشٍ، يَقُولُ وَهُوَ يَدْعُو: «يَا ملكِي ادْعُوا اللهَ لِي فَإِنَّكُمَا أَطْوَعُ لِلَّهِ مِنِّي»**.

قلت: وهذا فيه حجة علىٰ الجراجسة الجدد حيث **سمي طلب الدعاء شفاعة وفسرت الشفاعة بطلب الدعاء.**

لأن هناك بقية منهم تكفر بطلب الشفاعة ولا تكفر بطلب الدعاء بينما هما حقيقة واحدة لا فرق.

فالمقصود أن الأثر لا حجة فيه للقبري ولا لزوجه المجادل عن الشرك لأنه من جنس طلب الدعاء من الحي الحاضر وهذا جائز.

فلا يقيس طلب الدعاء من الميت الغائب الذي لا فعل له علىٰ طلب الدعاء من حي حاضر له فعل إلا من هو أضل من حمار أهله والله المستعان.

والحمد لله رب العالمين